آيات الحسرة في القرآن الكريم وأثرها في الاعتبار والإبداع

الباحث

م. د. غزال صالح غزال

ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

signs of remorse in the Holy Quran
and their impact in mind and creativity

Researcher

Ph. D. Ghazal Salah Ghazal

Office of the stay the Sunn

Department of education and religious

studies Islamic

الملخص

ملخص البحث: يبين البحث أنّ التفكر في آيات حسرة الكفار، يجعل المسلم معتبراً ومجتهداً في طاعة ربه، ومبتعداً عن معصيته، وأنّ الاعتبار والابداع والتوازن في جميع التصرفات هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، وأن الغلو والتفريط يخل بالتوازن، وأنّ المسرف في حسرة على ماله الذي ضيعه، وأن الهم والحزن لا ينفعان العبد البتة، فإنهما يضعفان العزم، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد والإبداع فيما ينفعه، وأن تحسر النفس الكافرة يوم القيامة بالندامة والاغتمام والحزن على التفريط والتقصير في طاعته وتوحيد الله تعالى والإقرار بنبوة رسوله ﷺ، فتكون رؤيتهم عواقب أعمالهم حسرات.

summary:

A summary of search: shows find that the reflection in verses heartbreak infidels' makes the Muslim mutabar finds in obedience Rabbo' and far from sin' and that the mind and creativity and balance in all actions is the base major approach the Muslim' and that the parties excessive prejudice to balance' and wasteful in heartbreak on his money which menial' and carefree sadness no benefit slave at all' they weakens determined' turns between the servant and diligence and creativity with help him' and that sigh self–infidel doomsday remorse and carefree' sadness on excessive default in obedience and consolidation of God' approval prophet hood his Messenger peace be upon him' shall be seeing them consequences of their heartbreak.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم من عباد الله الصالحين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

فإن القرآن الكريم نزل معجزاً، ومبشراً ومنذراً، من قرأه وتدبر اطمأن قلبه وسكن واعتبر، **قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرَّعْد الآية ٢٨]، لذا اخترت بحثي عن الحسرة في القرآن الكريم، لأهمية هذا الموضوع، من خلال ارتباطه بأجل وأشرف الموضوعات واقدسها وأعلاها بلاغة وفصاحة، ألا وهو كلام الله تعالى، لذا دعانا الله تعالى إلى تدبره وفهم معانيه وبيان أحكامه، **قال تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [مُحَمَّد الآية ٢٤]، لذلك فخير ما يبذل فيه الجهد هو الوقوف على أسراره، وإظهار إعجازه وبيان أحكامه، فإن آيات الحسرة تدل على الترهيب والترغيب بشكل موجز بليغ، من تدبرها ووقف على أسرارها يذَّكَّر ويعتبر ويبدع في العمل للدنيا والآخرة .

وقد قسمت البحث على مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم الحسرة والاعتبار والابداع، بينت في المطلب الأول الحسرة لغة واصطلاحاً، وفي المطلب الثاني الاعتبار لغة واصطلاحاً، وفي المطلب الثالث الإبداع لغة واصطلاحاً، وفي المطلب الرابع آيات الحسرة وأهميتها، وتحدثت في المبحث الثاني عن آيات الحسرة وأثرها في الاعتبار والابداع، بينت في المطلب الأول بذل الجهد في النظر والإنفاق، وفي المطلب الثاني المداومة على الطاعة، وفي المطلب الثالث الندم في الدنيا والأخرة، وختمت البحث بأهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات خلال دراستي للبحث، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ويغفر لي ولوالديَّ يوم الدين إنه هو الغفور الرحيم وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الحسرة والاعتبار والابداع

نتعرف على مفهوم الحسرة والاعتبار والإبداع لغة واصطلاحاً من خلال المطالب الآتية:

- **المطلب الأول: الحسرة لغة واصطلاحاً.**

أولاً: الحسرة لغةً:

تدل على الإعياء والكلل والندم والانكشاف والتلهف والضعف والحزن[١]، (والحَسْر والحُسُور: الإعياء،...، وحَسِرَتِ العَيْن أيْ: كَلَّتْ، وحَسَرَها بُعْدُ الشيء الذي حَدَّقَتْ نحوه، وحَسِرَ حَسْرةً وحسراً أي نَدِمَ على أمْرِ فاته)[٢]، (حسر: الحاء والسين والراء أصلٌ واحد، وهو من كَشْف الشيء،...، ومن الباب الحسرةُ: التلهُّف على الشيء الفائت، ويقال حَسِرْتُ عليه حَسَراً وحَسْرَةً، وذلك انكشافُ أمرِهِ في جزعه وقلَّة صبره)[٣]، (يا للحسرة: عبارة تقال تعبيرًا عن الحزن لمُصابٍ وقع)[٤]

نرى أن معاني الحسرة في اللغة متشابهة تدل على معنى واحد وهو شدة الندم الذي يصاحبه الإعياء والحزن والتلهف على الشيء الفائت بعد انكشاف الأمر.

ثانياً: الحسرة اصطلاحاً:

الحسرة: هي بلوغ النهاية في التلهف، والغم المتجدد على ما فاته من الهدى والندم عليه حتى يبقى القلب حسيرًا لا موضع فيه لزيادة التلهف، كالبصر الحسير لا قوة فيه للنظر، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه من الضلال[٥]، (الحسرة: هي بلوغ النهاية في التلهف، حتى يبقى القلب حسيرًا لا

(١) ينظر العين- للخليل الفراهيدي (ت١٧٥هـ)- تحقيق: د. مهدي المخزومي- دار ومكتبة الهلال- باب الحاء والسين والراء - جذر: ح س ر: ٣ / ١٣٣- ١٣٤ ، ومقاييس اللغة- لابن فارس (ت٣٩٥ هـ) - تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون- اتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٢م- باب الحاء والسين وما يثلثهما- جذر: حسر: ٢ / ٤٨- ٤٩- ومختار الصحاح- لمحمد الرازي (ت بعد٦٦٦هـ)- تحقيق : محمود خاط- مكتبة لبنان- بيروت - ١٩٩٥م- باب اللام- جذر: حسر: ١ / ٧٢ .

(٢) العين- للخليل الفراهيدي: ٣ / ١٣٣- ١٣٤ .

(٣) مقاييس اللغة- لابن فارس: ٢ / ٤٨- ٤٩- وينظر لسان العرب- لابن منظور- دار صادر- بيروت- ط ٣/- ١٤١٤ هـ- جذر: حسر: ٤ / ١٨٨.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة- لأحمد مختار (ت: ١٤٢٤ه)- عالم الكتب- ط ١/- ١٤٢٩هـ: ١ / ٤٩٣- ٤٩٤ .

(٥) ينظر الفروق اللغوية - للحسن العسكري (ت: ٣٩٥ هـ)- تحقيق: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة - القاهرة: ٢٦٧-

موضع فيه لزيادة التلهف، كالبصر الحسير لا قوة فيه للنظر)[١]، (الحسرة: الغم على ما فات والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه)[٢].

نرى أن المعنى الاصطلاحي للحسرة لا يختلف عن المعنى اللغوي وهو شدة الندم والتلهف على ما فاته من تركه للهدى بعد انكشاف الجهل الذي حمله على ارتكاب الضلال.

- **المطلب الثاني: الاعتبار لغة واصطلاحاً.**

أولاً: الاعتبار لغةً:

يدل الاعتبار في اللغة على التفسير والمركب والوزن والنفوذ والمضي في الشيء والبكاء، والتخطي والتغلب والتوضيح والتفكير والمراعاة والتقدير، والتأمل والتدبر والنظر والتذكر والعظة[٣]، (عَبَّرَ يُعبِّر الرؤيا تَعبيراً، وعَبَرَها يَعْبُرُها عَبْراً وعِبارة، إذا فسّرها، وعَبَرْت النهر عُبوراً،...، والمَعْبَرُ: شط النهر الذي هيىء للعبور، والمَعْبَرُ: مركب يعبر بك، أي: يقطع بلداً إلى بلَدٍ، والمِعْبَرَة: سفينة يُعْبَرُ عليها النّهرُ، وعَبَرتُ الدّنانير تعبيراً: وَزَنْتها ديناراً ديناراً، ورجلٌ عابِرُ سبيلٍ، أي مارٌّ طريق، والعِبْرَةُ: الإعتبار لما مضى)[٤]، (عبر: العين والباء والراء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على النفوذ والمضيّ في الشيء،...، وقولهم: عَبِرَ فلانٌ يَعْبَرُ عَبَراً من الحزن، وهو عَبْرَانُ، والمرأةُ عَبْرى وعَبِرَةٌ، فهذا لا يكون إلاَّ وثَمَّ بكاء)[٥]، (عبَر الأزمة: تخطّاها وتغلّب عليها،...، عبَّرَ عمَّا في نفسه: أوضح بيَّن بالكلام،...، وضَعه في الاعتبار: فكَّر فيه، وضَعه في حساباته،...، يأخذ بعين الاعتبار: يُراعي أو يقدِّر،...، الاعتبار: التَّأمّل والتَّدبّر والاستدلال بذلك على عِظَم القدرة وبديع الصَّنعة،...، عِبْرَة: تَذْكِرة عِظة يُتَّعَظ بها)[٦].

نرى أن معاني الاعتبار في اللغة متشابهة تدل على معنى واحد وهو التفسير من خلال النفوذ والمضي في الشيء، والتأمل والتدبر والنظر والتوضيح، والتفكير والمراعاة، والتقدير الذي يؤدي إلى التذكر والعظة والبكاء

والتعريفات- لعلي الجرجاني (ت٨١٦هـ) - تحقيق: إبراهيم الأبياري- دار الكتاب العربي- بيروت - ط /١ - ١٤٠٥هـ: ٨٧- والتوقيف على مهمات التعاريف- لمحمد المناوي (ت١٠٣١هـ)- تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر- بيروت- دمشق- ط /١- ١٤١٠ه- باب الحاء- جذر: حسر: ١٤٠.

(١) التعريفات- لعلي الجرجاني: ٨٧.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف- لمحمد المناوي- باب الحاء- جذر: حسر: ١٤٠.

(٣) ينظر العين- للخليل الفراهيدي- جذر عبر: ٢ /١٢٩- ومقاييس اللغة- لابن فارس- جذر عبر: ٤ /١٧٠-١٧١ - ولسان العرب- لابن منظور- جذر: عبر: ٤ / ٥٢٩-٥٣٢- ومعجم اللغة العربية المعاصرة- لأحمد مختار: ٢ / ١٤٤٩-١٤٥١.

(٤) العين- للخليل الفراهيدي- جذر عبر: ٢ /١٢٩ .

(٥) مقاييس اللغة- لابن فارس- جذر عبر: ٤ /١٧٠-١٧١.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة- لأحمد مختار: ٢ / ١٤٤٩-١٤٥١.

والتخطي والتغلب.

ثانياً: الاعتبار اصطلاحاً:

الاعتبار: هو رؤية فناء الدنيا كلها باستعمال النظر في فناء جزئها، وقيل: هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر، وقيل: هو الحالة التي يتوصل بها من معرفة الشاهد إلى ما ليس بمشاهد، وقيل: هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها، فالاعتبار: هو النظر في الحكم الثابت لأي معنى ثبت، وإلحاق نظيره به[١].

نرى أن المعنى الاصطلاحي للاعتبار لا يختلف عن المعنى اللغوي وهو التفسير من خلال النظر والتدبر في حقائق الأشياء وفنائها للتوصل إلى المعرفة للنجاة من الهلاك.

- **المطلب الثالث: الإبداع لغةً واصطلاحاً**

أولاً: الإبداع لغةً:

يدل الإبداع في اللغة على الابتداء والإنشاء والإحداث والاختراع والاستنباط والابتكار والإجادة والتميز والإيجاد، والانقطاع والكَلال والبروك[٢]، (بدع: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعُه لا عَنْ مِثال، والآخر الانقطاع والكَلال، فالأول قولهم: أبْدعْتُ الشيءَ قولاً أو فِعلاً، إذا ابتدأتَه لا عن سابق مثال...، والأصل الآخر قولهم: أُبْدِعَتِ الراحلةُ، إذا كَلّت وعَطِبت، وأُبدِع بالرَّجُل، إذا كَلَّتْ رِكابُه)[٣]، (بَدَع الشَّيْء يَبْدَعُه بَدْعا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبَدَع الرَّكية: استنبطها وأحدثها،...، وأُبْدِعَت الْإِبِل: بَرَكت فِي الطَّرِيق)[٤] معجم اللغة العربية المعاصرة (بَدَعَه، ابتكره،...، ابتدع آلة: اخترع ،...، بدَّع الشَّخصُ: أجاد وتميَّز في عمله،...، إبداع: إيجاد الشيء من عدم)[٥].

نرى أن معاني الإبداع في اللغة تدل على معنين وهما الابتداء والانقطاع، فالابتداء يصاحبه الانقطاع والكلل، ولكنه يؤدي إلى الإنشاء والإحداث والاختراع والاستنباط والابتكار والإجادة والتميز والإيجاد.

---

(١) ينظر التعريفات- لعلي الجرجاني: ٣٠- والتوقيف على مهمات التعاريف- لمحمد المناوي- باب العين- جذر: عبر: ٥٥- ٢٣٥-والكليات - لأبى البقاء -جذر: عبر: ١٧٤.

(٢) ينظر مقاييس اللغة- لابن فارس- جذر: بدع: ١/ ٢٠٣- والمحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن- جذر: بدع: ٢/ ٣٣- ٣٤- ولسان العرب- لابن منظور- جذر:بدع: ٨/ ٦-٧.

(٣) مقاييس اللغة- لابن فارس- جذر: بدع: ١/ ٢٠٣.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن - جذر: بدع: ٢/ ٣٣-٣٤

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة- لأحمد مختار: ١/ ١٧١.

ثانياً: الإبداع اصطلاحاً:

الابداع في الاصطلاح: هوالإنشاء على غيرمثال سابق، وقيل: هوالامرالذي يفعل اولاً، وقيل: هوإيجاد الشيء من لا شيء، وقيل: هوتأسيس الشيء عن الشيء، وقيل: إنشاء شيء بلا احتذاء ولااقتداء، فإذا استعمل في الله فهوإيجاد شيء بغيرآلة ولامادة ولازمان ولامكان، وقيل: هوإيجاد شيء غيرمسبوق بمادة ولازمان، فالإبداع: هوإخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود[1].

نرى أن المعنى الاصطلاحي للإبداع لا يختلف عن المعنى اللغوي وهوالابتداء وإيجاد الأشياء على غير مثال سابق.

- **المطلب الرابع: آيات الحسرة في القرآن الكريم وأهميتها**

أولاً: آيات الحسرة في القرآن الكريم:

وردت آيات الحسرة في القرآن الكريم في اثني عشرموضعاً:

١- ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مَرْيَم الآية ٣٩].

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٧] .

٣- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فَاطِر الآية ٨].

٤- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [المُلْك الآية ٤] .

٥- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٥٦].

٦- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأَنفَال الآية ٣٦].

٧- قال تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس الآية ٣٠] .

٨- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحَاقَّة الآية ٥٠].

---

(١) ينظرالتعريفات- لعلي الجرجاني: ٨- والتوقيف على مهمات التعاريف- لمحمد المناوي- باب الباء- جذر: بدع: ٣٦- والكليات - لأبى البقاء -جذر: بدع:٢٩.

٩- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإِسْرَاء الآية ٢٩].

١٠- قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأَنْعَام الآية ٣١].

١١- قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزُّمَر الآية ٥٦].

١٢- قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأَنبِيَاء الآية ١٩].

- **ثانياً: أهمية آيات الحسرة:**

إن التذكر والتفكر في آيات الحسرة وندامة أهل الكفر، يجعل المسلم معتبراً بحالهم، ومجتهداً في طاعة ربه، ومبتعداً عن معصيته، وعن رؤساء الشرك والكفر والظلم والفساد، ومهتدياً بهدي نبيه ﷺ، ومبدعاً في أعماله الصالحة التي فيها التفوق في سائر مجالات الحياة للنهوض من الغفلة والسبات، لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، بنشر الدعوة الإسلامية عن طريق العلم والعمل به، ولإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، وللتخلص من الندم على التفريط في عبادة الله تعالى قبل فوات الأوان، في يوم الحسرة والندامة، والعرض والجزاء على الأعمال.

* * *

المبحث الثاني

آيات الحسرة وأثرها في الاعتبار والابداع

نتعرف على آيات الحسرة من خلال بذل الجهد في النظرفي خلق السماوات وما فيها من القدرة العظيمة بطريقة متقنة محكمة، وبذل الجهد في الإنفاق بين الإسراف والتقتيربالوسط والاعتدال، والمداومة على الطاعة والعبادة التي بها التشريف والتكريم، والندم في الدنيا على تقصيرأهل المعاصي والضلال والمكذبين بالقرآن الكريم، والمنفقين أموالهم للصد عن سبيل الله تعالى، والندم في الآخرة على قلة الإحسان وكثرة الإساءة، والتفريط في الطاعة حتى يتمنى الرجوع إلى الدنيا من شدة التلهف على ما مضى.

- **المطلب الأول: بذل الجهد:**

أولاً: بذل الجهد في النظر: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [المُلْك من الآية ٣ الى الآية ٤]، خلق الله تعالى السماوات طباقاً بعضها فوق بعض، ليس فيها اختلاف واضطراب في الخلقة ولاتناقض، إنما هي مستوية مستقيمة، ونسبها إلى خَلْقِ الرَّحْمنِ تعظيماً لخلقهنّ، وتنبيهاً على سبب سلامتهنّ من التفاوت؛ لأنها خلق الرحمن، وأنه بباهرقدرته هوالذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب، ثم طلب إعادة النظرحتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة، ولاتبقى معك شبهة فيه، هَلْ تَرى فيها من صدوع وشقوق؟، وأمره بتكريرالبصرفيهنّ متصفحاً ومتتبعاً يلتمس عيباً وخللاً، فإن رجعت البصروكررت النظرلم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب بل يرجع إليك بالبعد عن إصابة الملتمس، وبالإعياء والكلال لطول الإجالة، فأمره بإرجاع البصر، وأمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره، ثم يعاود ويعاود، إلى أن يحسربصره من طول المعاودة، فإنه لا يعثرعلى شيء من فطور[1].

للدلالة على القدرة العظيمة الذي خلق سبع سماوات طباقاً، لبقائها في جوالهواء معلقة بلا عماد ولاسلسلة، ولاختصاص كل واحد منها بمقدار معين، وحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء،

(١) ينظرالكشاف- للزمخشري(ت٥٣٨هـ)- دارالكتاب العربي- بيروت- ١٣٦٦هـ: ٤/ ٥٧٦-٥٧٧- والمحررالوجيز- لابن عطية(ت٥٤٦هـ)- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دارالكتب العلمية- لبنان- ط ١/- ١٩٩٣م: ٥/ ٣٣٨.

وللتنبيه إلى التدبر من خلال النظر والمعاينة في حقيقة عدم وجود التفاوت والاختلاف، للدلالة على حكمة صانعها واتقانه وكمال علمه وأنه لم يخلقها عبثاً، لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة، للمبالغة في إقامة الحجة وقطع المعذرة، ولرؤية حسنها واستواءها وكواكبها في سيرها وانتهائها[١].

القرآن الكريم يوجه النظر إلى خلق الله، في السماوات بصفة خاصة وفي كل ما خلق بصفة عامة، ليتحدى بكماله كمالاً يرد البصر عاجزاً كليلاً مبهوراً مدهوشاً، ليثير الاهتمام والجد في النظر إلى السماوات وإلى خلق الله كله، وهذه النظرة الحادة الفاحصة المتأملة المتدبرة هي التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها، فبلادة الألفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق، الذي لا تشبع العين من تملي جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقي إيحاءاته وإيماءاته، ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته، والذي يعرف شيئاً عن طبيعة هذا الكون ونظامه كما كشف العلم الحديث عن جوانب منها يدركه الدهش والذهول، ولكن روعة الكون لا تحتاج إلى هذا العلم، فمن نعمة الله على البشر أن أودعهم القدرة على التجاوب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل، ومن ثم دعا الله تعالى الناس إلى النظر في هذا الكون، وإلى تملي مشاهده وعجائبه، وذلك أن القرآن يخاطب الناس جميعاً، وفي كل عصر، وكل واحد من هؤلاء يجد في القرآن ما يصله بهذا الكون، وما يثير في قلبه التأمل، والجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة، فالكمال يبلغ درجة الجمال[٢].

فسبع سموات متطابقة بطريقة متقنة محكمة، لا يقدر على خلقها بتلك الطريقة إلا هو، ولا يعلم كنه تكوينها وهيئاتها أحد سواه- عزوجل-، جارية على مقتضى نهاية النظام، للإشعار بأن هذا الخلق البديع، هو ما اقتضته رحمته- تعالى- بعباده، لكي تجرى أمورهم على حالة تلائم نظام معيشتهم، وللتنبيه على أن جميع مخلوقاته تسير على هذا النمط البديع في صنعها وإيجادها، فإنك مهما نظرت في خلق الرحمن، وشددت في التفحص والتأمل، فلن ترى فيه من شقوق أو خلل أو تفاوت، بل أعد النظر مرات ومرات، فتكون النتيجة التي لا مفر لك منها، أن بصرك بعد طول النظر والتأمل ينقلب إليك خائباً وهو كليل متعب، لأنه بعد هذا النظر الكثير لم يجد في خلقنا شيئاً من الخلل أو الوهن أو التفاوت[٣]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨﴾ [النَّمْل الآية ٨٨].

(١) ينظر التفسير الكبير- للرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط ٣/- ١٤٢٠هـ: ٣٠/ ٥٨١-٥٨٢- وفتح البيان- لصديق خان (ت١٣٠٧هـ)- الناشر عبد المحي علي محفوظ- مطبعة العاصمة- القاهرة: ١٤/ ٢٣٢.

(٢) ينظر في ظلال القرآن- لسيد قطب (ت١٣٨٧هـ)- دار الشروق- القاهرة- ط ١/- ٢٠٠٤م: ٦/ ٣٦٣٢- ٣٦٣٣.

(٣) ينظر التفسير الوسيط - لطنطاوي: ١٥/ ١٠-١١.

إن النظر والمعاينة في حقيقة عدم وجود التفاوت والاختلاف في خلق السماوات، وحكمة صانعها واتقانه وكمال علمه، وأنه لم يخلقها عبثاً، يدعوا إلى التدبر والابداع في طلب العلم والعمل، ويثير في القلب التأمل والاعتبار.

ثانياً: بذل الجهد في الإنفاق: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ [الإِسْرَاء الآية ٢٩]، للدلالة على النهي عن الشح والإسراف، والأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير، حتى لا تصير ملوماً عند الله، لأنّ المسرف غير مرضي عنده وعند الناس، يقول المحتاج: أعطى فلاناً وحرمني، ويقول المستغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك: إذا احتجت فندمت على ما فعلت، فتكون مَحْسُوراً منقطعاً بك لا شيء عندك، وإبقاء الأهل والولد في الضر والمحنة، فبين الله تعالى آداب الإنفاق فلا تمسك عن الإنفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات، فتجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط، ولاتتوسع في الإنفاق توسعاً مفرطاً بحيث لا يبقى في يدك شيء، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان، والخلق الفاضل هو العدل والوسط، فيه تشبيه حال من أنفق كل ماله ونفقاته بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته، لأن ذلك المقدار من المال كأنه مطية يحمل الإنسان ويبلغه إلى آخر الشهر أو السنة، كما أن ذلك البعير يحمله ويبلغه إلى آخر المنزل، فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزاً متحيراً، فكذلك إذا أنفق الإنسان مقدار ما يحتاج إليه في مدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزاً متحيراً، ومن فعل هذا لحقه اللوم من أهله والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم؛ بسبب سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه[1]، روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ ﷻ: (أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)[2].

استعار لليد المقبوضة عن الإنفاق المتصفة بالبخل، ولليد التي تستنفد جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل، للنهي عن استفراغ الوجد فيما يطرأ أولاً من سؤال المؤمنين، لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له، أو لئلا يضيع المنفق عيالاً ونحوه، وهذه الاستعارة استعير فيها المحسوس للمعقول، وفي هذا التصوير مبالغة عظيمة بليغة، للحث على الاعتدال في جميع التصرفات، والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن، فأتت هذه الآية تعليماً بمعرفة حقيقة من الحقائق الدقيقة فكانت من الحكمة، وجاء نظمها على سبيل التمثيل فصيغت الحكمة في قالب البلاغة، فأما الحكمة فإذ بينت أن المحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ٢/ ٦٦٢- والتفسير الكبير- للرازي: ٢٠/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) صحيح الإمام البخاري - مطابع الشعب - ١٣٧٨هـ- كتاب بدء الوحي- باب قوله: وكان عرشه على الماء: ٦/ ٩٢- رقم الحديث: ٤٦٨٤.

وهو مفسدة للمحتاجين ولصاحب المال، إذ يجر إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم، والطرف الآخر التبذير والإسراف، وفيه مفاسد لذي المال وعشيرته لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف غير جديرة بالصرف، والوسط هو وضع المال في مواضعه، وأما البلاغة فبتمثيل الشح والإمساك بغل اليد إلى العنق، وهو تمثيل مبني على تخيل اليد مصدراً للبذل والعطاء، وتخيل بسطها كذلك وغلها شحاً، فجاء التمثيل في الآية مبنياً على التصرف في ذلك المعنى بتمثيل الذي يشح بالمال بالذي غلت يده إلى عنقه، هذا قالب البلاغة المصوغة في تلك الحكمة، فجاء بجواب لكلا النهيين على التوزيع بطريقة النشر المرتب، فالملوم يرجع إلى النهي عن الشح، والمحسور يرجع إلى النهي عن التبذير، فإن الشحيح ملوم مذموم، والمحسور المنهوك القوى، فتكون غير قادر على إقامة شؤونك[1]، قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء الآية ٢٦].

إن الإسراف يجعل المسرف في حسرة على ماله الذي أضاعه ويجعله مقطوعاً عما كان له من مال كالمسرف المحسور ويجعله كليلاً متعباً، لأن الله أعطاه رزقاً فأضاعه، وأن بخل البخيل سببه حرصه على المال، وأنه يضيع إن ذهب، وإسراف المسرف سببه عدم احترامه لحق المال، فبين الله تعالى خطأ البخيل في تقديره، وخطأ المبذر في تبذيره، وإن الإنفاق المتوازن يُثري حركة الحياة، ويُسهم في إنمائها ورُقيّها، على خلاف القَبْض والإمساك، فإنه يُعرقِل حركة الحياة، وينتج عنه البطالة والركود في الأسواق وكساد يفسد الحياة، والمسرف لا يستطيع الارتقاء بحياته أو القيام بأعبائها وطموحاتها المستقبلية له ولأولاده من بعده، فالقرآن يضع لنا دستوراً حاسماً وَسَطاً ينظّم الحركة الاقتصادية في حياة المجتمع، فابْسُط يدك بالإنفاق لكي تساهم في سَيْر عجلة الحياة وتنشيط البيع والشراء، لكن ليس كل البسط، بل تُبقِي من دخلك على شيء لتحقق طموحاتك في الحياة، وكذلك لا تمسك وتُقتّر على نفسك وأولادك فيلومونك ويكرهون البقاء معك، وتكون عضواً خاملاً في مجتمعك، لا تتفاعل معه، ولاتُسهم في إثراء حركته، وبهذا التوجيه الإلهي الحكيم نضمن سلامة الحركة في الحياة، ونُوفّر الارتقاء الاجتماعي والارتقاء الفردي في سائر المجالات[2]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفُرْقَان الآية ٦٧]، روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا**

(١) ينظر المحرر الوجيز- لابن عطية: ٣ / ٤٥٠-٤٥١- والبحر المحيط -لابن حيان: ٧ /٤٢- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٥ / ٨٤- ٨٥.

(٢) ينظر زهرة التفاسير- لأبي زهرة: ٨ / ٤٣٦٩- ٤٣٧٠- وتفسير الشعراوي: ١٤ /٨٤٨٢- ٨٤٨٣- والتفسير الوسيط -لطنطاوي: ٨ / ٣٣٥.

خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[١].

في هذه الآية الحث على الاعتبار والابداع والتوازن والاعتدال في جميع التصرفات، فبين الله تعالى خطأ البخيل والمبذر، وأن الإنفاق المتوازن يُسهم في الابداع وإنماء الحياة، على خلاف القَبْض والإمساك فإنه يفسد الحياة، وبهذا التوجيه الإلهي الحكيم نضمن الابداع في سائر المجالات.

- **المطلب الثاني: المداومة على الطاعة**

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأَنبِيَاء من الآية ١٩ الى الآية ٢٠]، إن عموم المكلفين في السماء والأرض هم عبيده وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم، فيجب على الكل طاعته والانقياد لحكمه، ثم خصص من هذا العموم من أراد تشريفه من الملائكة، تشريف في المنزلة، وهذه العندية عندية الشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة، وأنهم مكرمون، منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان، لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون، وتسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر، فالملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن طاعته ولا يتعبون ولا يعيون، فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته [٢].

كأنه أريد هنا إظهار مزيد العظمة، فجيء بالسماوات جمعاً على معنى له كل من هو في واحدة من السماوات، ولم يرد فيما مر سوى بيان اشتمال هذا السقف المشاهد والفراش الممهد، وما استقر بينهما على الحكم التي لا تحصى والإتقان، وقد شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة، فعبر عن المشبه بلفظ دال على المشبه به فهناك استعارة مصرحة، تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه عزوجل منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل، فلا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبراء، ولا يكلون ولا يتعبون، ولا يصدر منهم الاستحسار الذي هو التعب الشديد الذي يقتضيه عملهم العظيم، أي لا يقع منهم ما لو قام بعملهم غيرهم لاستحسر ثقل ذلك العمل، فعبر بالاستحسار هنا الذي هو الحسور القوي لأنه المناسب للعمل الشديد، ونفيه من قبيل نفي المقيد بقيد خرج مخرج الغالب في أمثاله، فلا يفهم من نفي الحسور القوي أنهم قد يحسرون حسوراً ضعيفاً، وهذا المعنى قد يعبر عنه أهل المعاني بأن المبالغة في النفي لا في المنفي، لأن من لا يتعب

صحيح الإمام البخاري – كتاب بدء الوحي– باب قَوْله تَعَالَى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى):٢ / ١٤٢– رقم الحديث:١٤٤٢.

(٢) ينظر الكشاف– للزمخشري: ٣ / ١٠٨ – والمحرر الوجيز– لابن عطية: ٤ / ٧٧– والتفسير الكبير– للرازي: ٢٢ / ١٢٥– ١٢٦.

من عمل لا يتركه فهو يواظب عليه ولا يعيا منه، وأن الاستحسار حيث لا طلب كما هنا أبلغ من الحسور فإن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والمراد من الاتحاد بينهما الدال عليه كلامهم الاتحاد في أصل المعنى، والتعبير به للتنبيه على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون، وليس لنفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة، ينزهون الله تعالى ويعظمونه ويمجدونه في كل الأوقات لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو شغل آخر، فالمراد به المبالغة كما يقال فلان لا يفتر عن ثنائك وشكر آلائك، والمراد إفادة دوامهم على التسبيح على الوجه المتعارف، والمقصود منها التعريض بالذين يستكبرون عن عبادة الله ويعبدون الأصنام وهم المشركون[١].

الله تعالى لَا أحد يشاركه في ملكه، فهو وحده المالك للسماوات والأرض، وما فيهما من الملائكة وعباد الله المكرمون، وأنهم خاضعون له تعالى خضوع العبودية له سبحانه فأولى بكم أيها الناس ثم أولى أن تكونوا له عابدين، وهم في عبادتهم مستمرون لَا يكلون ولا يضجرون، وكان يمكن أن يكلوا ومع ذلك استمروا دائبين في عبادتهم مع شدة التعب، ولكن لَا تعب في أمر ما داموا يرضون ربهم، فأفردوا لتعظيمهم ولقربهم من الله تعالى، ولأن بعض الناس كان يقدسهم، بل يعبدهم[٢]، روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»[٣].

في هذه الآية توجيه للبشر بأن تكون حياتهم كلها عبادة كالملائكة، إذا توجه بها صاحبها إلى الله، للتشجيع على الابداع في جميع الأعمال التي تعود بالنفع الطيب في الدنيا والآخرة، فأولى بكم أيها الناس ثم أولى أن تكونوا له عابدين، معتبرين ومبدعين كحالهم، إشارة إلى الابداع في جميع العبادة.

- **المطلب الثالث: الندم في الدنيا والآخرة**

أولاً: الندم في الدنيا:

أ- قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فَاطِر الآية ٨]، هذه الآية تتضمن تسلية للنبي ﷺ عن كفر قومه، ووجوب التسليم لله تعالى في إضلال من شاء وهداية من شاء، فليس من عمل سيئاً كالذي عمل صالحاً، إشارة إلى تحقيق الحقِ ببيانِ أنَّ الكُل بمشيئتِه تعالى، أيْ أنَّه تعالىَ يُضلُّ

(١) ينظر روح المعاني- للألوسي: ٩ / ٢١ ٢٢ - والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٧ / ٣٦.

(٢) ينظر زهرة التفاسير- لابي زهرة: ٩ / ٤٨٤٤- ٤٨٤٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد- مؤسسة قرطبة - القاهرة: ٢ / ٢١٠- رقم الحديث: ٦٩٥٨- قال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

مَن يشاء أنْ يضلَّه لكسبه واستحبابِه الضَّلالَ، وصرفِ اختيارِه إليه فيردَّه أسفلَ سافلينَ، وَيَهْدِى مَن يشاء أنْ يهديَه بصرفِ اختيارِه إلى الهُدى، فيرفعه إلى أعلى عليين، وأمر نبيه ﷺ بالإعراض عنهم وأن لا يبخع نفسه أسفاً عليهم، لأن العاصي على صفة لا تجدى عليه المصالح، حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال، ويعتنق طاعة الهوى، حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه، وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإنّ على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالاً إلى ذكرهم، ولا يحزن ولا يتحسر عليهم، اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم، فلا تهلك نفسك بالحسرات، والجمعُ للدِّلالةِ على تضاعفِ اغتمامِه ﷺ على أحوالِهم أو على كثرةِ قبائحِ أعمالِهم الموجبةِ للتَّأسُّفِ والتَّحسرِ، ثم بين أن حزنه إن كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون، وإن كان لما به منهم من الإيذاء، فالله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون[1]، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكَهْف الآية ٦].

هذا هو مفتاح الشر كله أن يزين الشيطان للإنسان سوء عمله فيراه حسناً، أن يعجب بنفسه وبكل ما يصدر عنها، وبطبيعة الحال لا يطيق أن يراجعه أحد في عمل يعمله أو في رأي يراه، لأنه حسن في عين نفسه، مزين لنفسه وحسه، هذا هو البلاء الذي يصبه الشيطان على الإنسان، وهذا هو المقود الذي يقوده منه إلى الضلال، أهذا يرجى له صلاح ومتاب؟ أهذا كمن يحاسب نفسه ويراقب الله؟، إن الذي يكتب الله له الهدى والخير يضع في قلبه الحساسية والحذر والتلفت والحساب والاعتبار، فلا يأمن مكر الله، ولا يأمن تقلب القلب، ولا يأمن الخطأ والزلل، ولا يأمن النقص والعجز، فهو دائم التفتيش في عمله، دائم الحساب لنفسه، دائم الحذر من الشيطان، دائم التطلع لعون الله، وهذا هو مفرق الطريق بين الهدى والضلال، فإن طبيعة الضلال برؤية العمل حسناً وهو سوء، وطبيعة الهدى بالتفتيش والحذر والمحاسبة والتقوى، إن هذا الشأن شأن الهدى والضلال، ليس من أمر بشر، إنما هو من أمر الله تعالى، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وهو مقلب القلوب والأبصار، والله- سبحانه- يعزي رسوله ويسليه بتقرير هذه الحقيقة له، حتى يستقر قلبه الكبير الرحيم المشفق على قومه مما يراه من ضلالهم، ومصيرهم المحتوم بعد هذا الضلال، وحتى يدع ما يجيش في قلبه البشري من الحرص على هداهم، ومن رؤية الحق الذي جاء به معروفاً بينهم! وهو حرص بشري معروف، يرفق الله سبحانه برسوله من وقعه في حسه، فيبين له أن هذا ليس من أمره، إنما هو من أمر الله، وهي حالة يعانيها الدعاة كلما أخلصوا في دعوتهم، وأدركوا قيمتها وجمالها وما فيها من الخير، وأولى أن يدرك الدعاة هذه الحقيقة التي واسى بها الله- سبحانه- رسوله، فيبلغوا دعوتهم باذلين فيها أقصى الجهد، ثم لا يأسوا بعد

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ٣ /٦٠٠- والمحرر الوجيز- لابن عطية: ٤ /٤٣٠- وإرشاد العقل السليم- لأبي السعود: ٧ / ١٤٤.

ذلك على من لم يقدر له الله الصلاح والفلاح، فهو يقسم لهم الهدى أو الضلال وفق علمه بحقيقة صنعهم، والله يعلم هذه الحقيقة قبل أن تكون منهم ويعلمها بعد أن تكون، وهو يقسم لهم وفق علمه الأزلي، ولكنه لا يحاسبهم على ما يكون منهم إلا بعد أن يكون[١]، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النَّمْل الآية ٢٤].

للدلالة على استحقاق حزب الشيطان عذاب السعير، وأن الكفر سوء وأن الإيمان حسن، وبتسلية النبي ﷺ على من لم يخلصوا من حبائل الشيطان من أمة دعوته بأسلوب الملاطفة في التسلية، فلا يحزنك مصيره فإن الله مطلع عليه، وإسناد الإضلال والهداية إلى الله إسناد بواسطة أنه خالق أسباب الضلال والاهتداء، فلا تتحسر على من زين لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنات، وإنما حسرتهم على أنفسهم إذ رضوا لها باتباع الشيطان ونبذوا اتباع إرشاد الله، فعدل عن النظم المألوف إلى هذا النظم العجيب، وصيغ بالاستفهام الإنكاري والنهي التثبيتي، والنهي موجه إلى نفس الرسول ﷺ أن تذهب حسرات على الضالين، ولم يوجه إليه بأن يقال: فلا تذهب عليهم حسرات، والرسول ﷺ ونفسه متحدان فتوجيه النهي إلى نفسه، دون أن يقال فلا تذهب عليهم حسرات، للإشارة إلى أن الذهاب مستعار إلى التلف والانعدام، لتحصل فائدة توزيع النهي والخطاب على شيئين في ظاهر الأمر فهو تكرير الخطاب والنهي لكليهما، وهي طريقة التجريد المعدود في المحسنات، وفائدة التكرير الموجب تقرير الجملة في النفس، فلا تتلف نفسك لأجل الحسرة عليهم، وجمعت الحسرات مع أن اسم الجنس صالح للدلالة على تكرار الأفراد قصداً للتنبيه على إرادة أفراد كثيرة من جنس الحسرة لأن تلف النفس يكون عند تعاقب الحسرات الواحدة تلو الأخرى، لدوام المتحسر منه فكل تحسر يترك حزازة وكمداً في النفس حتى يبلغ إلى الحد الذي لا تطيقه النفس فينفطر له القلب، فإنه قد علم في الطب أن الموت من شدة الألم كالضرب المبرح وقطع الأعضاء، سببه اختلال حركة القلب من توارد الآلام عليه، فكما أنه لحلمه لم يعجل بمؤاخذتهم، فكن أنت متأسياً بالله ومتخلقاً بما تسطيعه من صفاته، كناية عن عدم إفلاتهم من العذاب على سوء عملهم، للإشارة إلى أنهم يدبرون مكائد للنبي ﷺ وللمسلمين فيكون هذا الكلام إيذاناً بوجود باعث آخر على النزع عن الحسرة عليهم[٢].

في هذه الآية بيان حال أهل الهدى والخير وتعاملهم ونظرتهم لحال أهل الضلال والشر، والاعتبار بحالهم والابتعاد عن أفعالهم، وأن يدرك الدعاة هذه الحقيقة فيبلغوا دعوتهم باذلين مبدعين فيها أقصى الجهد.

---

(١) ينظر في ظلال القرآن- لسيد قطب: ٥/ ٢٩٢٦-٢٩٢٨.

(٢) ينظر التحرير والتنوير- لابن عاشور: ٢٢/ ٢٦٣-٢٦٧.

ب- قال تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ [يس الآية ٣٠]، النداء للحسرة عليهم والتنكير للتكثير، حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب، لاستهزائهم بالرسل وكفرهم، وأنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون، وهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين، وطباع كل بشر توجب عند سماعه حالهم وعذابهم على الكفر، وتضييعهم أمر الله تعالى أن يشفق ويتحسر على العباد، ويوم القيامة تكون الندامة الشديدة، فهي حال بائسة مؤسفة تنتهي بأصحابها إلى شر وخيم وبلاء عظيم! يا حسرة على العباد تتاح لهم فرصة النجاة فيعرضون عنها، وأمامهم مصارع الهالكين قبلهم فلا يعتبروا بها يتدبرونها، ويفتح الله لهم أبواب رحمته بإرسال الرسل إليهم الحين بعد الحين، ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة ويسيئون الأدب مع الله[١].

فالتعريف في العباد شامل للأمة، تعريف الجنس المستعمل في الاستغراق، وهو استغراق ادعائي روعي فيه حال الأغلب على الأمم التي يأتيها رسول، لقلة الذين صدقوا الرسل ونصروهم فكأنهم كلهم قد كذبوا، وأصل النداء أنه على تنزيل المعنى المثير للإنشاء منزلة العاقل، فيقصد اسمه بالنداء لطلب حضوره، تمثيل لحال عباد الله تعالى في تكذيبهم رسل الله، بحال من يرثي له أهله وقوعه في هلاك أرادوا منه تجنبه، حيث فوت عليه السعادة الأبدية وعوضها العذاب المقيم[٢] قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فُصِّلَت الآية ٤٤].

كلام الله تعالى بيان لحال الأمم المكذبة بالرسل الذين أهلكوا بسبب كفرهم، ودعوة الناس إلى الاتعاظ والاعتبار بأحوالهم قبل فوات الأوان، للتنبيه إلى الابداع في العبادة والطاعة حتى لا يقعوا بمثل ذلك الهلاك.

ت- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ [الحَاقَّة من الآية ٤٨ الى الآية ٥٠]، إن القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنتفعون به لإقبالهم عليه إقبال مستفيد، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها، يذكرهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين، فمن اتقى حب الدنيا فهو يتذكر بهذا القرآن وينتفع، ومن مال إليها فإنه يكذب بهذا القرآن ولا يقربه، فسيعاقب على تكذيبه بالعقوبة البليغة، وإن تكذيبهم بالقرآن لحسرة وندامة وألم على الكافرين، إشارة الى الوعيد الشديد،

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ٤/ ١٣- والمحرر الوجيز- لابن عطية: ٤/ ٤٥٢- وفي ظلال القرآن- لسيد قطب: ٥/ ٢٩٦٦- ٢٩٦٧.

(٢) ينظر روح المعاني- للألوسي: ١٢/ ٤-٥- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٢٣/ ٧-٩- والتفسير الوسيط -لطنطاوي: ١٢/ ٢٦-٢٧.

إما يوم القيامة إذا رأوا ثواب المصدقين به، أو في دار الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين، ولم يقدروا على معارضته عند تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله[١].

لبيان شرف ونفع القرآن الكريم، وإمعاناً في إبطال كلام المكذبين، بإظهار الفرق البين بينه وبين شعر الشعراء وزمزمة الكهان، إذ هو تذكرة وليس ما ألحقوه به من أقوال أولئك من التذكير في شيء، فالقرآن تذكرة للمتقين في الماضي والحال والمستقبل، وجاء الإخبار بالمصدر للمبالغة في الوصف، للتنبيه إلى ما هو مغفول عنه، وأنه مذكر للناس بما يغفلون عنه من العلم بالله وما يليق بجلاله، لينتشلهم من هوة التمادي في الغفلة حتى يفوت الفوات، وإنما علق للمتقين بكونه تذكرة، لأن المتقين هم الذين أدركوا مزيته، فهذا القرآن يذكر القلوب التقية فتذكر، إن الحقيقة التي جاء بها كامنة فيها، فهو يثيرها فيها ويذكرها بها فتتذكرها، فأما الذين لا يتقون فقلوبهم مطموسة غافلة لا تتفتح ولا تتذكر، ولا تفيد من هذا الكتاب شيئاً، وإن المتقين ليجدون فيه من الحياة والنور والمعرفة والتذكير ما لا يجده الغافلون، لارتفاع شأن المؤمنين، وانحطاط قدر المكذبين، فهو حسرة على الكافرين في الدنيا والآخرة، لأن سببها ينكشف لصاحبها بعد فوات إدراكه ولا يزال يعاوده، فهو حسرة عليهم في الدنيا لأنه فضح ترهاتهم ونقض عماد دينهم الباطل وكشف حقارة أصنامهم، وهو حسرة عليهم في الآخرة لأنهم يجدون مخالفته سبب عذابهم، ويقفون على اليقين بأن ما كان يدعوهم إليه هو سبب النجاح لو اتبعوه، لا سيما وقد رأوا حسن عاقبة الذين صدقوا به[٢].

إن القرآن الكريم يذكر أهل التقوى على الإقبال عليه، وتعلمه وتعليمه وتدبر آياته وحفظه والعمل به، والتخلق بأخلاقه، وما يصلح دينهم ودنياهم، فيعرفونها ويعملون عليها، ليكونوا من العلماء الربانيين، والأئمة المهديين، والاعتبار بحال من يكذب بهذا القرآن ولا يقربه، فسيعاقب على تكذيبه بالعقوبة البليغة والحسرة والندامة.

ث- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١٥٦]، إن المنافقين كانوا يعيرون المؤمنين في الجهاد مع الكفار، لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ثم إنه لما ظهر من بعض المؤمنين فتور وفشل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع، وعفا الله بفضله عنهم، ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم، فإن الله هو المحيي والمميت، فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد، ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد،

(١) ينظر التفسير الكبير- للرازي: ٣٠ /٦٣٥-٦٣٦- وفتح البيان- لصديق خان: ١٤ / ٣٠٤- وتيسير الكريم الرحمن- للسعدي: ٨٨٥.

(٢) ينظر في ظلال القرآن- لسيد قطب: ٦ / ٣٦٨٩- ٣٦٩٠- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٢٩ / ١٤٨-١٤٩.

فلأن يقتل في الجهاد حتى يستوجب الثواب العظيم، كان ذلك خيراً له من أن يموت من غير فائدة، وجعلوا مقالتهم سبباً لتنفير الناس عن الجهاد، وأن أقارب ذلك المقتول إذا سمعوا هذا الكلام ازدادت الحسرة في قلوبهم، فيعتقد السامع لهذا الكلام أنه هو الذي تسبب إلى موت ذلك الشخص العزيز عليه أو قتله، ومتى اعتقد في نفسه ذلك فلا شك أنه تزداد حسرته وتلهفه، أما المسلم المعتقد في أن الحياة والموت لا يكون إلا بتقدير الله وقضائه، لم يحصل ألبته في قلبه شيء من هذا النوع من الحسرة، فثبت أن تلك الشبهة التي ذكرها المنافقون لا تفيدهم إلا زيادة الحسرة، وأن المنافقين إذا ألقوا هذه الشبهة إلى إخوانهم تثبطوا عن الغزو والجهاد وتخلفوا عنه، فإذا اشتغل المسلمون بالجهاد والغزو، ووصلوا بسببه إلى الغنائم العظيمة والاستيلاء على الأعداء والفوز بالأماني، بقي ذلك المتخلف عند ذلك في الخيبة والحسرة، ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم، فلا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، لأنّ مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادّتهم مما يغمهم ويغيظهم، وأن هذه الحسرة تحصل يوم القيامة في قلوب المنافقين إذا رأوا تخصيص الله المجاهدين بمزيد الكرامات و إعلاء الدرجات، وتخصيص هؤلاء المنافقين بمزيد الخزي واللعن والعقاب، وأن جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات و إلقاء الضلالات يعمي قلوبهم فيقعون عند ذلك في الحيرة والخيبة وضيق الصدر[1].

جاء هذا البيان القرآني لتصحيح القيم والتصورات، ورد هذا الكيد إلى نحور كائديه، ليكشف عن الفارق الأساسي في تصور صاحب العقيدة وتصور المحروم منها، للسنن التي تسير عليها الحياة كلها وأحداثها سراؤها وضراؤها، إن صاحب العقيدة مدرك لسنن الله، متعرف إلى مشيئة الله، مطمئن إلى قدر الله، إنه يعلم أن لا يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومن ثم لا يتلقى الضراء بالجزع، ولا يتلقى السراء بالزهو، ولا تطير نفسه لهذه أو لتلك، ولا يتحسر على أنه لم يصنع كذا ليتقي كذا، أو ليستجلب كذا، بعد وقوع الأمر وانتهائه!، فكل ما يقع من النتائج يتلقاه بالطمأنينة والرضى والتسليم، موقناً أنه وقع وفقاً لقدر الله وتدبيره وحكمته، فيتوازن بين العمل والتسليم، وبين الإيجابية والتوكل، فأما الذي يفرغ قلبه من العقيدة في الله على هذه الصورة المستقيمة، فهو أبداً مستطار، أبداً في قلق!، فإحساسهم بأن خروج إخوانهم ليضربوا في الأرض في طلب الرزق فيموتوا، أو ليغزوا ويقاتلوا فيقتلوا، إحساسهم بأن هذا الخروج هو علة الموت أو القتل، يذهب بأنفسهم حسرات أن لم يمنعوهم من الخروج! ولو كانوا يدركون العلة الحقيقية وهي استيفاء الأجل ونداء المضجع، وقدر الله وسنته في الموت والحياة ما تحسروا، ولتلقوا الابتلاء صابرين،

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ١/ ٤٣٠-٤٣١ - والمحرر الوجيز- لابن عطية: ١/ ٥٣٠-٥٣٢- والتفسير الكبير- للرازي: ٩/ ٣٩٩- ٤٠٢.

فبيده إعطاء الحياة، وبيده استرداد ما أعطى، في الموعد المضروب والأجل المرسوم، سواء كان الناس في بيوتهم وبين أهلهم، أو في ميادين الكفاح للرزق أو للعقيدة، وعنده الجزاء، وعنده العوض، عن خبرة وعن علم وعن بصر[١]، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٥٤]، للتحذير من العود إلى مخالجة عقائد المشركين، وبيان لسوء عاقبة تلك العقائد في الدنيا أيضا، والنهي عن التشبه بهم لما فيه من الضر، والله يلوم على العجز، ويحب الكيس ويأمر به، والكيس هو مباشرة الأسباب التي ربط الله بها مسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير، وأما العجز فإنه يفتح عمل الشيطان، فإن ما مضى لا يدفع بالحزن، بل بالرضا والحمد والصبر والإيمان بالقدر، وما يستقبل لا يدفع أيضاً بالهم، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه فلا يعجز عنه، وإما أن لا تكون له حيلة في دفعه، فلا يجزع منه، ويلبس له لباسه، ويأخذ له عدته، ويتأهب له أهبته اللائقة، ويستجن بجنة حصينة من التوحيد والتوكل، فالهم والحزن لا ينفعان العبد البتة، بلا مضرتهما أكثر من منفعتهما، فإنهما يضعفان العزم، ويوهنان القلب، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، ويقطعان عليه طريق السير، ولا تزال في هذا السجن، حتى تتخلص إلى فضاء التوحيد والإقبال على الله، والأنس به، ثم أشار تعالى إلى أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة حتى يحذر منه بل هو مما يوجب الفرح والسرور[٢]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٥٧]، روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**[٣].

فالمؤمن صاحب العقيدة الصحيحة المعتقد في أن الحياة والموت لا يكون إلا بتقدير الله وقضائه، لم تحصل له الحسرة، فهو مدرك لسنن الله، مطمئن إلى قدر الله، ولا يتلقى الضراء بالجزع والسراء بالفرح، وإنما بالصبر والشكر والإيمان بالقدر مع الطمأنينة والرضى والتسليم، واليقين أنه وقع وفقاً لقدر الله وتدبيره وحكمته، فيتوازن بين العمل والتسليم وبين الاجتهاد والإبداع، إشارة إلى الابتعاد عن حال الكافرين والمنافقين، والاعتبار بعاقبة أفعالهم التي تدعوا إلى العجز والحزن والجزع والخوف.

---

(١) ينظر في ظلال القرآن- لسيد قطب:١/ ٤٨٩-٤٩٩.

(٢) ينظر محاسن التأويل- للقاسمي: ٢ / ٤٤٢- ٤٤٤- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٤ / ١٤١-١٤٢.

(٣) صحيح الإمام مسلم- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-١٩٥٤م - كتاب القدر- باب الأمر بالقوة: ٤ / ٢٠٥٢- رقم الحديث: ٢٦٦٤.

ج- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال الآية ٣٦]، أخبر الله تعالى في هذه الآية خبراً لفظه عام في الكفار، والإشارة به إلى مخصوصين الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله والدفع في صدر الإسلام، والصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، لبيان عداوة المشركين وكيدهم ومكرهم، ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فأخبر الله سبحانه عن الغيب على وجه الإعجاز، فسيقع منهم هذا الإنفاق وسيعلمون عاقبة إنفاقه من الخيبة وعدم الظفر بالمقصود فحصلت المغايرة، ثم يكون إنفاقهم عليهم حسرة، ثم تكون الدائرة عليهم، كأن ذات الأموال تنقلب حسرة، وتصير ندماً وخزياً وذلاً لفوات ما قصدوه بها، لأنهم لا يستفيدون من بذلهم أموالهم وإنفاقه في الباطل، إلا الحسرة والخيبة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، وهذا من إخبار القرآن بالغيوب لأنه أخبر بما يكون قبل أن يكون، فكان كما أخبر، وأنهم يجمعون إلى جهنم، وذلك يوجب الزجر العظيم عن ذلك الإنفاق، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين، فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي[1]، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المُجَادلَة الآية ٢١].

إن الله تعالى يؤكد أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فلا يتحقق لهم قصدهم، أكد الإنفاق للصد عن سبيل الله، لبيان النية الخبيثة، بجعل كلمة الشرك عالية، وخضد شوكة المسلمين دعاة الحق، ويمنع الرسول ومن اتبعه من الدعوة، وفي سبيل حرب أهل الإيمان، وفي تأييد الباطل ومعارضة الحق، فينفقونها ليمنعوا الناس عن الدخول في الدين الذي يوصلهم إلى رضا الله وإلى طريقه القويم، فسينفقون هذه الأموال في الشرور والعدوان، وأتى بصيغة المضارع في ينفقون للإشارة إلى أن ذلك دأبهم، وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والمستقبل، وأشعرت لام التعليل بأن الإنفاق مستمر لأنه منوط بعلة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصد الناس عنه، فالتعبير عنه بصيغة المضارع لاستحضار حالة الإنفاق وأنها حالة عجيبة في وفرة النفقات، فستكون لهم شدائد من بأس المسلمين تضطرهم إلى تكرير الإنفاق على الجيوش لدفع قوة المسلمين، وتشويه صورتهم وإبداعهم، وفي تكرير الإنفاق في شبه الشرط والجزاء، إشعار بكمال سوء إنفاقهم، حيث إنهم لم ينفقوا أموالهم في خير أو ما يشبه الخير، وإنما أنفقوها في الشرور المحضة، فهم قد قصدوا بنفقتهم الوقوف في وجه الحق والانتصار

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ٢/ ٢١٩- والتفسير الكبير- للرازي:١٥/ ٤٨٢- وفتح البيان- لصديق خان: ٥/ ١٧١.

على المؤمنين، ولكن هذا القصد ذهب أدراج الرياح، وأسندت الحسرة إلى الأموال لأنها سبب الحسرة بإنفاقها، ثم إن الإخبار عنها بنفس الحسرة مبالغة مثل الإخبار بالمصادر، لأن الأموال سبب التحسر لا سبب الحسرة نفسها، وهذا إنذار بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم على طائل فيما أنفقوا لأجله، وقد أكد الله تعالى أنهم سينفقونها بهذه النية الفاسدة، فالسين هنا لتأكيد الوقوع في المستقبل، وأنه لَا نتيجة لهذا الإنفاق، بل يكون عليهم حسرة، وسيغلبون؛ لأنهم لم يحققوا ما أرادوا وكانت الهزيمة، وهي حسرة ثانية، وكان نصر المؤمنين، وأن يكونوا هم المغلوبين، والكلام مشعر بالتوبيخ على الانفاق والإنكار عليه، ولبيان غرض الانفاق وعاقبته، وأنه لم يقع بعد فليس ذلك من التكرار المحظور، ثم تكون عليهم ندماً وتأسفاً لفواتها من غير حصول المطلوب، هذه عقوبتهم في الدنيا، ثم يغلبون ارتقاء في الإنذار بخيبتهم، وهو إنذار لهم بفتح مكة وانقطاع دابر أمرهم، فقد ذهبت أموالهم سدى، وغلبوا المرة بعد المرة، وبين سوء مصيرهم في الآخرة، بعد بيان حسرتهم وهزيمتهم في الدنيا، أما في الآخرة فإلى جهنم وبئس المصير[1]، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٢].

أشارت الآية إلى أن نفقة أهل الإيمان في سبيل الله فيها النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، وأن نفقة أهل الكفر في الصد عن سبيل الله فيها الحسرة والندامة والخسران، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم بالخيبة وعدم الظفر بالمقصود ثم تكون الدائرة عليهم، فليعتبر المؤمن بحالهم وسوء عاقبتهم حتى يبدع في العمل في سبيل الله تعالى.

ثانياً: الندم في الآخرة:

أ- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾ [مَرْيَم الآية ٣٩]، يوم يتحسر الناسُ قاطبةً أما المسيءُ فعلى إساءته وأما المحسنُ فعلى قلة إحسانِه، والإنذار الإعلام بالتخويف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته أحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر بالحساب والجزاء، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله وأبدع في طاعته واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ورسله شقي شقاوة لا سعادة بعدها، وخسر نفسه وأهله، وفُرِغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار، وأن أهل النار قد حصلوا من أول أمرهم في سخط الله، وأمارته أنهم في حالة حسرة، حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم في الجنة لو كانوا مؤمنين، وأنهم في حسرات كثيرة في مواطن عدة، ومنها يوم الموت ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال، فحينئذ يتحسر ويندم

(١) ينظر روح المعاني- للألوسي: ٥ / ١٩١- ١٩٢- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٩ / ٣٤٠-٣٤٢- والتفسير الوسيط -لطنطاوي: ٦ / ٩٥-٩٦.

ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا، فيتحسر على ما فرط فيها من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم، والحال أنهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكرة، حتى جاء أمر الله بمجيء يوم القيامة وزجهم في العذاب، وسرعة صدور الأمر بتعذيبهم، وقضي أمرهم على حين أنهم في غفلة، للدلالة على التحذير من حلول يوم القيامة بهم قبل أن يؤمنوا، واستمرار عدم إيمانهم إلى حلول قضاء الأمر يوم الحسرة، ولذلك اختيار صيغة المضارع فيه دون صيغة اسم الفاعل، لاستحضار الاستمرار العجيب في طوله وتمكنه، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهتهم دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية، فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، فلا بد من الابداع في الطاعة، والاعتبار بحال أهل النار[1].

بينت الآية حال الغافلين المفرطين في الطاعة المبالغين في الضلال والفساد يتحسرون على ما فرطوا فيها من أسباب النجاة، فأنذرهم لأنهم في حالة يحتاجون فيها للإنذار، لأنه قضي الأمر وجاء التنفيذ، لأنهم خسروا أنفسهم وكذّبوا بلقاء الله، فليبدع أهل الإيمان للنجاة من تلك العاقبة، وليعتبروا قبل فوات الأوان.

ب- قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأَنْعَام الآية ٣١]، إخبار عن خسارة المكذبين بالرجوع إليه تعالى وإلى أحكامه وقدرته، ويتضمن تعظيم المصاب الذي حل بهم، وتستعمل الخسارة في مثل هذا لأنه من أخذ الكفر واتبعه، فكأنه قد أعطى الإيمان واطرحه، إشارة إلى الذين قالوا إنما هي حياتنا الدنيا، وما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فجأة، وتقصيرهم في شأنها والإيمان بها، وجاء نداء الحسرة على تعظيم الأمر وتشنيعه على نفس المتكلم وعلى سامعه، ولتقصيرهم مع القدرة على ترك التقصير في الدنيا، وعدم الاستعداد لها، فالخسران إنما يحصل لمن كان مكذباً ومنكراً للبعث والقيامة، وكان يعتقد أن منتهى السعادات ونهاية الكمالات هو هذه السعادات العاجلة الفانية، فعند الوصول إلى موقف القيامة يتحسرون على تفريطهم في تحصيل الزاد من الأعمال والطاعات ليوم المعاد، إشارة إلى أنهم لم يحصلوا لأنفسهم ما به يستحقون الثواب، وإنما حصلوا لأنفسهم ما به استحقوا العذاب العظيم، وأن عذابَهم ليس مقصُوراً على ما ذكِر من الحسرة على ما فات وزال، بل يقاسون مع ذلك تحمُّلَ الأوزار الثِقال،

(١) ينظر المحرر الوجيز- لابن عطية: ٤/ ١٧- وإرشاد العقل السليم- لأبي السعود: ٥/ ٢٦٦- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٦/ ١٠٨-١٠٩.

وشبه الذنوب بثقل الأحمال، وجعله على الظهور إذ هو في العادة موضع حمل الأثقال، وساء ما يذنبون متضمن التعظيم لذلك والإشادة به، والإيماءُ إلى أن تلك الحسرةَ من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات، والسرُّ في ذلك أن العذابَ الروحانيَّ أشدُّ من الجُسمانيِّ، وأنهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة ثقل ذلك عليهم، أما من كان مؤمناً بالبعث والقيامة، فإنه لا يغتر بهذه السعادات الجسمانية، ولا يكتفي بهذه الخيرات العاجلة بل يسعى في إعداد الزاد ليوم المعاد، فلم يحصل له الخسران ولا التحسر[١].

والمعنى يا حسرتنا احضري فهذا أوانك، وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسرون والمتحسر عليهم، لتنبيه الناس على عظم ما يحل بهم من الحسرة، كأنهم قالوا يا أيها الناس تنبهوا على ما نزل بنا من الحسرة، لتنبيه المخاطبين على وقوع الحسرة بهم، فتبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الإيمان بالكفر والدنيا بالآخرة، عند لقاء الله وظهور آثار رضاه وغضبه دون تأخير ولا إمهال، ولا وقاية بأسباب عادية من نظام الحياة الدنيا، فهم بين التلهف على التفريط في الأعمال الصالحة والإيمان، وبين مقاساة العذاب على الأوزار التي اقترفوها، ومن لطائف التوجيه وضع لفظ الأوزار في هذا التمثيل فإنه مشترك بين الأحمال الثقيلة وبين الذنوب، وهم إنما وقعوا في هذه الشدة من جراء ذنوبهم فكأنهم يحملونها، لأنهم يعانون شدة آلامها، ومشهدهم كالدواب الموقرة بالأحمال، بل الدواب أحسن حالاً، فهي تحمل أوزاراً من الأثقال، ولكن هؤلاء يحملون أوزاراً من الآثام! والدواب تحط عنها أوزارها فتذهب لتستريح[٢].

إن تحمل الأعمال اليوم في طاعة الله مع قلتها أهون من حمل الأثقال يوم القيامة، وعلينا الأخذ بأسباب الصلاح والنجاة والإبداع الذي يبني الحضارات حتى يُثاب المصلح في الدنيا يوم الجزاء، والنظر بعين الاعتبار إلى حال أهل البوار ومعاناتهم مع تلك الأحمال.

ت- قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزُّمَر الآية ٥٦]، تتحسر النفس الكافرة يوم القيامة، بالندامة والاغتمام والحزن على التفريط والتقصير في طاعته وتوحيده والإقرار بنبوة رسوله ﷺ، الذي يؤدي إلى رضا الله، وما كنت إلا من المستهزئين بدين الله في الدنيا، وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين، للدلالة على غاية الأسف ونهاية الحزن، وأن التفريط في طاعة الله تعالى يناسب شدة الحسرة، فيقتضي حصول تلك الحسرة عند حصول هذا التفريط بالحق والأمر والطاعة، ولم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها، بل كان من المستهزئين بالدين وأهله، للمبالغة في الدلالة

(١) ينظر الكشاف- للزمخشري: ٢ / ١٦- ١٧- والمحرر الوجيز- لابن عطية: ٢ / ٢٨٣- ٢٨٤ - والتفسير الكبير- للرازي: ١٢ / ٥١٣- ٥١٤.

(٢) ينظر فتح البيان- لصديق خان: ٤ / ١٢٧- ١٢٩ - وفي ظلال القرآن- لسيد قطب: ٢ / ١٠٧٢- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٧ / ١٨٨- ١٩٢.

على اتصافهم بالسخرية[١].

ث- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البَقَرَة الآية ١٦٧]، يتمنى أتباع رؤساء الكفر والظلم والفساد، متمنين للمحال ندماً على اتباع من لا ينفع، لأن يتمكنوا من الرجعة إلى الدنيا، وإلى حال التكليف فيكون لهم الاختيار، بعد ما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم، فيتبرؤون منهم ومن عبادتهم في الدنيا، فلا يخلصونهم ولا ينصرونهم، بل يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به أحداً، فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبونهم، ليشفوا غيظهم من رؤسائهم الذين خذلوهم ولتحصل للرؤساء خيبة وانكسار كما تبرؤا منهم يوم القيامة، فتكون رؤيتهم عواقب أعمالهم حسرات، وذلك لانقطاع الرجاء من كل أحد، ولأنهم أيقنوا بالهلاك، فيندموا على الطاعات لم ضيعوها، وأبدلوها بالمعاصي والأعمال الخبيثة، وفناء ثواب طاعاتهم التي أتوا بها فأحبطوها بالكفر، وأعمالهم التي تقربوا بها إلى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لأمرهم، فتكون حسرة بأن رأوها في صحيفتهم، وأيقنوا بالجزاء عليها، وكان يمكنهم تركها والعدول إلى الطاعات، وهذه الحسرات وشدة الندامة لا منفعة فيها، إلا إدخال الألم عليهم، وإلا فهم باقون في النار على كل حال، لأنها لا تخرجهم من النار، إشارة إلى أن اليأس والانقطاع واقع منهم على أنفسهم، وإلى المبالغة في تأكيد الوعيد وبيان حال المشركين في الآخرة وخلود عذابهم، وأنه لا يشاركهم في الخلود غيرهم[٢]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ [سَبَإ الآية ٣٣].

تبين من الآيات السابقة أن طاعة الله تعالى يقابلها الفرح والأمن والفوز، وأن معصية الله تعالى يقابلها الحزن وشدة الحسرة واليأس والانقطاع، والتبرؤ الذي لا ينفع صاحبه في ذلك اليوم، فليتبرأ العبد اليوم من الشرك وأهله قبل فوات الأوان.

* * *

(١) ينظر التفسير الكبير- للرازي: - ٢٧ / ٤٦٦- ٤٦٧- وفتح البيان- لصديق خان: ١٢ / ١٣٥- ١٣٦- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٢٤ / ٤٥-٤٧.

(٢) ينظر التفسير الكبير- للرازي: ٤ / ١٨١-١٨٢- وروح المعاني- للألوسي: ١ / ٤٣٤-٤٣٥-والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ٢ / ٩٩-١٠٠.

الخاتمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛ فأهم ما توصلت اليه من نتائج وتوصيات خلال دراستي لآيات الحسرة هي:

١- إنّ الحسرة هي بلوغ النهاية في التلهف، والغم المتجدد على ما فاته من الهدى والندم عليه، وأن الاعتبار هو رؤية فناء الدنيا كلها باستعمال النظر في فناء جزئها، وأن الإبداع هو إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود.

٢- إنّ التذكر والتفكر في آيات الحسرة وندامة أهل الكفر، يجعل المسلم معتبراً بحالهم، ومجتهداً في طاعة ربه، ومبتعداً عن معصيته.

٣- إنّ التدبر والابداع في طلب العلم، من خلال النظر والمعاينة في حقيقة عدم وجود التفاوت والاختلاف في خلق السماوات، للدلالة على حكمة صانعها واتقانه وكمال علمه وأنه لم يخلقها عبثاً، ليتحدى بكماله كمالاً يرد البصر عاجزاً كليلاً مبهوراً مدهوشاً.

٤- إنّ الاعتبار والابداع والتوازن في جميع التصرفات هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، وأن الغلو والتفريط يخل بالتوازن، وأن الإنفاق المتوازن يُثري حركة الحياة، ويُسهم في إنمائها والابداع في رُقيّها.

٥- إنّ الإسراف يجعل المسرف في حسرة على ماله الذي أضاعه ويجعله مقطوعاً عما كان له من مال كالمسرف المحسور ويجعله كليلاً متعباً.

٦- إنّ الملائكة في عبادتهم مستمرون لَا يكلون ولا يضجرون، فأفردوا لتعظيمهم ولقربهم من الله تعالى، إشارة إلى الابداع في تلك العبادة.

٧- إذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم، فإنّ على الرسول أن لا يهتم بأمرهم، ولا يحزن ولا يتحسر عليهم، وأنّ على الدعاة تبليغ دعوتهم باذلين مبدعين فيها أقصى الجهد.

٨- إنّ كلام الله تعالى واقع موقع الرثاء للأمم المكذبة بالرسل، الذين أهلكوا بسبب إصرارهم على كفرهم، ودعوة الناس إلى الاتعاظ والاعتبار بأحوالهم قبل فوات الأوان، ياحسرة العباد منهم على أنفسهم، و إن تكذيبهم بالقرآن لحسرة وندامة وألم على الكافرين.

٩- إن صاحب العقيدة مدرك لسنن الله، متعرف إلى مشيئة الله، مطمئن إلى قدر الله، إنه يعلم أن لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ولا يتحسر بعد وقوع الأمر وانتهائه.

١٠- إن الهم والحزن لا ينفعان العبد البتة، فإنهما يضعفان العزم، ويوهنان القلب، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد والإبداع فيما ينفعه، ويقطعان عليه طريق السير.

١١- إن عداوة المشركين وإنفاقهم ومبارزتهم لله ولرسوله، يكون عليهم حسرة، لأنهم لا يستفيدون من بذلهم إلا الحسرة والخيبة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

١٢- خوّفهم يوم يتحسر الظالمون على ما فرطوا في جنب الله تعالى، لانقطاع الآمال وانسداد باب الخلاص من الأهوال.

١٣- فالخسران إنما يحصل لمن كان مكذباً ومنكراً للبعث والقيامة، وكان يعتقد أن منتهى السعادات ونهاية الكمالات في العاجلة الفانية، فيوم القيامة يتحسرون على تفريطهم في تحصيل الزاد من الأعمال والطاعات ليوم المعاد.

١٤- تتحسر النفس الكافرة يوم القيامة، بالندامة والاغتمام والحزن على التفريط والتقصير في طاعته وتوحيده تعالى والإقرار بنبوة رسوله ﷺ، فتكون رؤيتهم عواقب أعمالهم حسرات، لفناء ثواب طاعاتهم التي أتوا بها فأحبطوها بالكفر، وأعمالهم التي تقربوا بها إلى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لأمرهم، فتكون حسرة، بأن رأوها في صحيفتهم.

أهم التوصيات: الاعتبار والنظر بحال الظالمين قبل فوات الأوان، والإبداع في جميع الطاعات والأعمال والتصرفات، وعدم اليأس في الدعوة وطلب العلم.

* * *

المصادر والمراجع

- وهي بعد القرآن الكريم .

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢. البحر المحيط- لأبي حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت٧٥٤هـ)- مطابع النصر الحديثة- الرياض- دار الكتب العلمية- بيروت- ٢٠٠١م .

٣. التحرير والتنوير- لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٤ه.

٤. التعريفات- لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)- تحقيق: إبراهيم الأبياري- دار الكتاب العربي- بيروت- ط ١/-١٤٠٥هـ.

٥. تفسير الشعراوي , لمحمد متولي الشعراوي (ت١٤١٩هـ)، دار الشروق , القاهرة .

٦. التفسير الكبير- للفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسيني (ت٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط ٣/- ١٤٢٠هـ.

٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد سيد طنطاوي- دار نهضة مصر- ط ١/.

٨. التفسير الوسيط- وهبة بن مصطفى الزحيلي- دار الفكر- دمشق- ط ١/- ١٤٢٢هـ.

٩. التوقيف على مهمات التعاريف- محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١ هـ)- تحقيق: د. محمد رضوان الداية- دار الفكر- بيروت- دمشق- ط ١/- ١٤١٠هـ.

١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة- ط ١/-٢٠٠٠م .

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لأبي الفضل محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٢٧٠هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٢. زهرة التفاسير- لأبي زهرة محمد أحمد مصطفى المصري (١٣٩٥هـ)- دار الفكر العربي- بيروت .

١٣. صحيح البخاري- لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)- مطابع الشعب - ١٣٧٨هـ.

١٤. صحيح مسلم- لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)- تحقيق: محمد

فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-١٩٥٤م .

١٥. العين- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)- تحقيق: د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال .

١٦. فتح البيان في مقاصد القرآن- لصديق خان حسن علي (ت١٣٠٧هـ)- الناشر عبد المحي علي محفوظ- مطبعة العاصمة- القاهرة.

١٧. الفروق اللغوية- لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)- تحقيق: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة -القاهرة.

١٨. في ظلال القرآن- لسيد قطب بن إبراهيم المصري (ت١٣٨٧هـ)- دار الشروق- القاهرة- ط /٣٤- ٢٠٠٤م .

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل- لجاد الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٣٦٦هـ.

٢٠. الكليات- لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)- تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٩٨م .

٢١. لسان العرب- لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)- دار صادر- بيروت- ط /٣- ١٤١٤ هـ.

٢٢. محاسن التأويل- لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه.

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية - لبنان- ط /١- ١٩٩٣م .

٢٤. المحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن علي بن إسماعيل (ت:٤٥٨هـ)- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية - بيروت- ط /١- ١٤٢١ هـ.

٢٥. مختار الصحاح- لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد٦٦٦هـ)- تحقيق: محمود خاطر- مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٩٥م .

٢٦. مسند الإمام أحمد- مؤسسة قرطبة - القاهرة.

٢٧. معجم اللغة العربية المعاصرة- لأحمد مختار عبد الحميد (ت:١٤٢٤هـ)-عالم الكتب- ط /١- ١٤٢٩هـ.

٢٨. مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيا (ت٣٩٥هـ)- تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون- اتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٢م.